مقومات التربية السليمة في القرآن -الزهراء عليها السلام إنموذجاً

The components of sound education in the Qur'an (Al-Zahra, peace be upon her, as a model)

م.م نوران جبار عمران

Nooran Jabbar omran .

nooran.alassadi1985@abu.edu.iq

جامعة أهل البيت عليهم السلام / كلية العلوم الاسلامية

Ahl al-Bayt University, peace be upon them, College of Islamic Sciences

ملخص البحث

الانسان من نظر القرآن موجود له القدرة على تسخير العالم الذي هو فيه والارتقاء بنفسه الى مرتبة أعلى من مراتب الملائكة ويمكن أن ينزل بها الى اسفل سافلين ، لذلك فضّله الله على كثير من خلقه ورسم له المقومات التي من خلالها يستطيع تهذيب نفسه والسمو بها الى اعلى الدرجات وهذه المقومات هي العقائد التي تنبع من القلب والفطرة السليمة التي ولد الانسان عليها والغاية التي خُلِق الانسان من اجلها و الجانب الاخلاقي الذي يجب يتحلى به ليسمو بنفسه والجانب الاجتماعي الذي يولد وينشأ ويعيش فيه المتمثل بالاسرة والبيئة ، لذلك سوف نسلط الضوء على هذه الجوانب وكيف اودعها النبي في شخص الزهراء لتنشأ سيدة نساء العالمين وتثبّت كل مانشأت عليه في اولادها الذين ضحوا بكل غالٍ ونفيس من أجل العقيدة والاخلاق والمجتمع .

Abstract

From the perspective of the Qur'an, man exists and has the ability to harness the world in which he is and elevate himself to a higher level than the ranks of the angels, and he can bring them down to the lowest of the low. Therefore, God favored him over many of his creation and prescribed for him the ingredients through which he can refine himself and raise him to the highest levels. These components are the beliefs that stem from the heart, the common sense with which man was born, the purpose for which man was created, and the moral aspect that he must possess in order to elevate himself And the social aspect that is born, raised and lives in it represented by the family and the environment, so we will shed light on these aspects and how the Prophet deposited them in the person of Al-Zahra to grow the Lady of the women of the worlds and prove all that she was raised on in her children who sacrificed everything precious and precious for the sake of faith, morals and society.

مقدمة البحث

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على مصلح البشرية ومعلمها وهاديها محمد وعلى آله النجباء الاكرمين وبعد :

الانسان من نظر القرآن موجود له القدرة على تسخير العالم الذي هو فيه والارتقاء بنفسه الى مرتبة أعلى من مراتب الملائكة ويمكن أن ينزل بها الى اسفل سافلين ، لذلك فضّله الله على كثير من خلقه ورسم له المقومات التي من خلالها يستطيع تهذيب نفسه والسمو بها الى اعلى الدرجات .

والقرآن هو دستور التربية الصحيحة الصالحة ، لأن الله أنزله لهداية البشرية وتنميتهم ، لذلك فهو يتضمن أعظم المناهج والمقومات التربوية الناجحة ودعا الى العمل بها ووجه النبي صلى الله عليه وآله لحث الناس على التمسك بها وتنظيم الحياة وفقها ، وهذه المقومات هي العقائد التي تنبع من القلب والفطرة السليمة التي ولد الانسان عليها والغاية التي خُلِق الانسان من اجلها ، قال تعالى : ﴿وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون﴾(الذاريات:٥٦) هذا من جانب ، اما الجانب الاخر هو الجانب الاخلاقي الذي يجب يتحلى به ليسمو بنفسه ويرتقي بها الى الكمال الذاتي ، والجانب الاجتماعي الذي يولد وينشأ ويعيش فيه المتمثل بالأسرة والبيئة الذي ينتمي اليها والمجتمع الذي يعيش فيه ، لذلك سوف نسلط الضوء على هذه الجوانب وكيف اودعها النبي في شخص الزهراء لتنشأ سيدة نساء العالمين وتثبّت كل ما نشأت عليه في اولادها الذين ضحوا بكل غالٍ ونفيس من أجل العقيدة والاخلاق والمجتمع ، لذا سيكون البحث في ثلاث مباحث وكل مبحث فيه مطالب متفرعة وفق الموضوعات التي يسعها كل مبحث ...

حيث تناول المبحث الاول الاثر العقائدي في التربية القرآنية ، والمبحث الثاني الاخلاق واثرها في التربية القرآنية ، اما المبحث الثالث الاثر الاجتماعي ودوره في التربية .

المبحث الاول : الاثر العقائدي في التربية القرآنية

اذا استقرت العقيدة في النفس الانسانية ظهر اثر ذلك على اخلاق الانسان وسلوكه ، ويعد القرآن الكريم من ابرز مصادر العقيدة الصحيحة والسلوك القويم ، ونقصده به التصرفات الارادية واللاإرادية التي تصدر من الانسان ودورها في تطهير القلوب من دنس الاحقاد والتصرفات المنبوذة، (العقائد هي الأفكار التي يؤمن بها الإنسان، ويصدر عنها في تصرفاته وسلوكه، وتطلق العقائد الإسلامية على أركان الإيمان، وما يتفرع عنها من توحيد الألوهية، والبعد عن كل شبهات الشرك، وعلى الإيمان ...)[١].

وأساس العقائد هي الفطرة السليمة والتوحيد والايمان بخالق هذا الكون ومن هذا تتفرع بقية متعلقات العقائد

❖ المطلب الاول : الفطرة

القرآن أول ما يبدأ به في تربيته للإنسان هي الفطرة ، فيوقظها ، ويذكرها بما مغروس في اعماقها ، ليجدها معترفة بوجود خالق لهذا الكون ، فهي بذلك لا تحتاج الى دليل [٢]

(النفس البشرية حصن أحكمت أقفاله ، ولغز معقد اتعب العقول وحيّر الفلاسفة والمفكرين منذ أقدم العصور ، وما زالت أقفال الحصن عصين لا يلين ، والقرآن تضمّن في كثير من الآيات الكريمة وضع الأسس لتربية النفس من خلال ردها إلى فطرتها السليمة ، وتخليصها مما علّق بها من أوضار الوراثة والبيئة وخرافات العرف والتقليد وإتباع الهوى والشيطان) [٣] .

(الفطرة هي ما فُطرنا عليه أي ما هو حق وحقيقي في تكويننا ما ينبثق منها هو حقيقة ما يكوّن معالم وجودنا وما لم ينبثق منها هو وهم لا أساس له في وجودنا ، والفطرة هي فطرة الله التي فطر كل الناس عليها وهي أحسن تقويم ولا تحتوي الا ما هو رحماني وسليم) [٤] .

قال تعالى ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾(الروم: ٣٠) .

كون هذا الدين يهدى إلى الحق ويصل متبعيه إليه إن الدين عند الله الاسلام ،وسائر ما يجرى هذا المجرى من الآيات أن لهذا الدين أصلا في الكون والخلقة والواقع الحق، يدعو إليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ويندب الناس إلى الاسلام والخضوع له ويسمى اتخاذه سنة في الحياة إسلاما لله تعالى فهو يدعو إلى ما لا مناص للإنسان عن استجابته والتسليم له وهو الخضوع للسنة العملية الاعتبارية التي يهدى إليها السنة الكونية الحقيقية، وبعبارة أخرى التسليم لإرادة الله التشريعية المنبعثة عن إرادته التكوينية[٥]، والدين الاسلامي و ما جاء في القرآن متوافق مع مادعت اليه الفطرة السليمة، (فقد أباح الإسلام الزواج وشرعه إشباع الغريزة الجنسية وهي غريزة فطرية لدى الإنسان وتحقيق الألفة والرحمة، وأباح الإسلام الكسب الحلال وحرم الربا وهذا أيضا موافق للفطرة السليمة ، الإسلام أحل الحلال وحرم الحرام، وهذا يعد تنظيماً للفطرة ، حيث سهل الطرق السليمة التي تلبي رغبات وحاجات الإنسان لئلا ينحرف عن الطريق الصحيح)[٦]. فيتضح إن للفطرة وظيفتان الاولى تُملي على الانسان دوافعه الذاتية والثانية تزود الانسان بما يمكن من خلاله حل المشاكل التي تنشأ من الواقع الذي يعيشه الانسان ومصالحه الشخصية وبهذا تكون قد أدت مهمتها الكاملة من خلال هداية الانسان وتهذيبه والارتقاء به الى مستوى الكمال، والنبي (صلى الله عليه وآله) طبّق ما جاء به القرآن وأكد على دور الفطرة في تهذيب سلوك الانسان وتقويمه حيث ذكر (صلى الله عليه وآله) (كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه)[٧]، ولو تتبعنا السيرة النبوية لوجدنا إنه (ص) ، عمل بكل ما جاء بالقرآن وغرس تلك المقومات في شخصية ابنته الطاهر فاطمة الزهراء لتكون خير مثال للإنسان القويم الصالح . (لقد أثمرت شجرة النبوة، وأَذِن الله تعالى لدوحة الرسول أن تمتد فروعها، وتستطيل آفاقها بميلاد فاطمة في أجيال هذه الامة، لقد ولدت فاطمة ، وهي تحمل روح رسول الله ، وصفاته، وأخلاقه، فكانت الوارث والشبيه، إذ لم يكن في الدنيا أحد يماثل الرسول في صفته وشمائله كفاطمة ، ولقد لفتت هذه العلاقة والرابطة بين رسول الله وابنته فاطمة أنظار الذين عايشوها، فتحدثوا عن ذلك الشَبَه، وكرروا القول فيه)[٨]، وخصّ الله تعالى فاطمة الزهراء من وصائف فضله و شرائف نبله بأكمل ما أعدّه لغيرها من ذوي النفوس القدسية، والأعراق الزكية والأخلاق الرضية، والحكم الإلهية، وسطع صبح النبوة بطلعتها الحميدة وغرتها الرشيدة، وتجسدت فيها الكمالات الإنسانية، وملكات الفضائل النفسانية كأن طينتها قد عجنت بماء الحياة وعين الفضل في حظيرة القدس، فهي نور الحق، وحقيقة الصدق، وآية العدل، فتعالى مجدها، وتوالى إحسانها[٩]. فالزهراء نشأت وتربت على الفطرة السليمة التي جاء ذكرها في القرآن وطبقها رسول الله (ص). إن فاطمة كانت من أعبد الناس أو انها قامت في محرابها حتى تورمت قدماها ، أو إن فرائضها ارتعدت من خيفة الله ، أو انها دعت لجيرانها ولم تدعُ لنفسها ، وأما ما خفي في صدرها وقلبها من الخشوع والمعرفة مما لا يدركه عقولنا ولا يعقله ادراكنا [١٠]، وهذه العبادة والخشوع ما هو الا الفطرة التي فطر الله الناس عليها ونمت في شخص الزهراء .

❖ المطلب الثاني : التوحيد

ان للإيمان بإله واحد آثارا تربوية عظيمة في النواحي النفسية والخلقية والاجتماعية فالمؤمن بإله واحد يحصل على الاستقرار النفسي لأنه يتوجه بالعبادة والدعاء إلى الله الذي خلقه وخلق هذا الكون الذي يعيش فيه ويستفيد من خيراته [١١]، ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفاً وَما أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾(الانعام: ٩٧).

(فتوجيه الوجه كناية عن الاقبال إلى الله سبحانه بالعبادة فإن لازم العبودية والربوبية أن يتعلق العبد المربوب بربه في قوته وإرادته، ويدعوه ويرجع إليه في جمع أعماله، ولا يكون دعاء ولا رجوع إلا بتوجيه الوجه والاقبال إليه فكنى بتوجيه الوجه عن العبادة التي هي دعاء ورجوع وذكر ربه وهو الله سبحانه الذي وجه وجهه إليه، بنعته الذي يخصه بلا نزاع فيه وهو فطر السماوات والأرض) [١٢]

والمؤمن ينظم أموره كلها بشريعة الله ، فيحصل الانسجام بين الجانب الإرادي والجانب اللاإرادي من نفسه ، ذلك الجانب الخاضع لسنة الله بدون أن يكون لصاحبه سلطة عليه ، كما يحصل الانسجام بين نفسه وبين الكون الذي يعيش فيه ، وبينها وبين المجتمع الذي ينضم إليه فالمؤمن يشعر بالاطمئنان نتيجة لإيمانه بأن حياته ورزقه وأموره كلها بيد الله تعالى ، وهو يتلقى منه المبادئ والمثل والشرائع والقوانين والتربية [١٣]

والإيمان بالله يؤدي إلى تقويم السلوك وتهذيب النفس ، لأن المؤمن يعلم أن الله مطلع على عمله، عالم بما يجول في نفسه ، وأنه مجزي على فعله وهذا ما يجعله نقي السريرة مخلصا في عمله ، صالحا في السر والعلن [١٤].

فالإيمان بالله تعالىٰ هو منبع لكل الفضائل، (ويظهر هذا الأثر واضحاً على أخلاق المؤمن وسلوكه ، فبينما يتّبع الكافر سلوكاً إنتهازياً لا يؤمن بنظافة الوسيلة ولا شرف الغاية ، ويضع مصالحه الآنية في سلّم الأولوية ، غاضاً النظر عن القيم والأخلاق ، نجد بالمقابل الإنسان المتسلح بالإيمان يسلك سلوكاً مثاليّاً يرتكز علىٰ الثوابت الأخلاقيّة وقواعد السلوك السوّي ، والملاحظ أنّه كلّما كمل إيمان الفرد كلّما حسنت أخلاقه وتكاملت فضيلته ، ونظراً لوجود هذه العلاقة بين الإيمان والأخلاق نجد التوجّهات الأخلاقيّة تحتل حيزاً كبيراً من التعاليم الدينيّة ، لذلك نجد أنّ الافراد الذين يعيشون في مجتمعات بعيدة عن نور الإيمان تغلب عليهم سمة الانحطاط الخلقي ، ذلك لأنَّ الحياء فرع الإيمان)[١٥] .

وفي الحديث الشريف : ((وأكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم أخلاقاً))[١٦]، فالقرآن بنى الشخصية المسلمة شخصية مطمئنة النفس هادئة البال تعلم ان الله واحد وهو خالق هذا الكون .

وخير مثال لمن اتسم بصفة الايمان والحياء وتمثلت به شخصية الفرد المؤمن المتقي هي ابنة سيد الخلق اجمعين فاطمة الزهراء التي نشأت وترعرعت في حجر الايمان ، حيث كانت فاطمة الزهراء عليها السلام أعبد النساء في زمانها ، وقد ضربت الامثال بعبادتها وإيمانها وطاعتها لله .

ورد في الحديث عن الإمام الباقر (عليه السلام) انه قال : (قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إنّ ابنتي فاطمة ملأ الله قلبها وجوارحها إيماناً ويقيناً إلى مشاشها ، ففرغت لطاعة الله)[١٧] .

ومن خطبتها سلام عليها في التوحيد ((اشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ، كلمة جعل الاخلاص تأويلها ، وضمن القلوب موصولها)) ، أي إن الله ألزم القلوب بالمعنى الذي تصل اليه كلمة لا اله الا الله ، وهو معنى التوحيد الفطري ، أي جعل القلوب على الفطرة ، وهي الدين والملة والاسلام والتوحيد [١٨] .

المبحث الثاني : الاخلاق واثرها في التربية القرآنية

إن الهدف الاسمى للقرآن هو هداية البشرية لذلك جاءت النصوص القرآنية تؤكد على تهذيب النفس وصيانتها من الزيغ والتحلي بالأخلاق ..

(ولما كان موضوع علم الاخلاق الباحث في حال النفس وهي اشرف الموجودات بسبب جوهرها المجرد، الذي يتناسب مع انفس الملائكة من هذه الجهة ، وقد افاض الله عز وجل المعلومات ، والاسماء الدالة على المسميات على اول بشر خلقه من خلقه وجعله خليفته في ارضه ولم يعلمها ملائكته المقربين ، لما في ذلك من عدم الضرورة الداعية الى تعليمهم اياها لتجردهم عن ماديات هذا العالم ، وكثافته ، ولأنهم منزهون عن معنى المشاركة في المصالح الارضية التي تستلزم المزاحمة وهي بلا شك تقتضي وجود صناعة ذات أصول ، وقواعد لتربية الانفس ، بحيث تجعلها صالحة للبحث في احوال الموجودات على وجه يضمن الاعتدال في الطلب ويسير بكل نفس الى ما اكدت له وتهيأت اليه)[١٩]، كيف لا وقد نزل هذا القرآن على من اتصف بالصدق والامانة واشتهر بالأخلاق الحسنة بين قومه حيث كان يلقب بالصادق الامين وهو خير مثال لما تجسدت في شخصه كل الصفات الاخلاقية التي ذُكرت في القرآن وأورثها لابنته البتول الطاهرة ومن الاساليب التي استخدمها القرآن لتهذيب النفس وتخليصها من دنس الذنوب والمعاصي والاخطاء هي :

❖ المطلب الاول : الترغيب والترهيب

إنّ القرآن الكريم يشتمل على أكمل المناهج التربوية والاخلاقية لحياة الانسان، ويحتوي على كل ما يسوقه إلى السعادة والكمال لذلك استخدم عدة اساليب منها الترهيب والترغيب وهما أُسلوبان مناسبان لطبيعة الانسان، لآنه يرجو ويخاف ، و لو التفتنا الى آيات الترهيب والترغيب في القرآن لوجدناها متلازمة، فالترغيب هو أسلوب التشجيع والحث على القيام بالعمل وهو من الاساليب التي استخدمها القرآن للدعوة الى التوحيد وعبادة الله ، والترهيب هو الخوف .

(يعتبر الترغيب والترهيب حافزا يدفع الإنسان إلى التعلم الصحيح وتجنب الأخطاء وفعل الحسن وترك القبيح. ولا ينكر وجود عاطفتي الحب والكره ، والميل إلى الشيء أو النفور منه في نفس كل إنسان ، فإذا حققت التربية رغبات النفس البشرية ، وأصبح ما يتعلمه المرء وسيلة للحصول على ما يرغب فيه ، أو النجاة مما يخاف منه ، فإنه يتأثر بها إلى أبعد الحدود ، وتتنوع رغبات الناس بين الأشياء المادية والمعنوية ، وكلها ترجع إلى ما يحفظ عليهم صحتهم ، ويشبع غرائزهم ، ويلبي دوافعهم ويجعلهم في مكانة مرموقة ، ويشعرهم بالسعادة والعظمة ، كما أنهم يخافون من الموت ومن فقدان ما يحتاجون إليه ومن أي ضرر يصيبهم أو يصيب أحبابهم ، وقد أبعد الإسلام عن الناس الخوف من الموت حين أعلمهم أن الموت باب يدخلون منه إلى الدار الآخرة ، وهو يأتي في أجله المحدد ، ولا يستطيع أحد أن يمد في عمر إنسان أو ينقص منه ساعة واحدة ، وأبعد عنهم المخاوف المجهولة حين أعلمهم أن الضرر والنفع بيد الله وحده ، ولا يستطيع أحد أن ينفع غيره أو أن يضره فيما لم يأذن به الله) [٢٠] .

❖ المطلب الثاني الموعظة الحسنة :

من الاساليب القرآنية في التربية هو اسلوب الوعظ والارشاد ، وقد ذكرت لفظة الموعظة ومشتقاتها في القرآن الكريم أكثر من ٢٥ مرة ومنها قوله تعالى: ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾(النحل:١٢٥)، وقوله :﴿وَإِذْ قالَ لُقْمانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾(لقمان:١٣) .

(لا شك في أنه يستفاد من الآية إن هذه الثلاثة الحكمة والموعظة والمجادلة من طرق التكليم والمفاوضة فقد أمر بالدعوة بأحد هذه الأمور فهى من انحاء الدعوة وطرقها وإن كان الجدال لا يعد دعوة بمعناها الأخص ، وقد فسرت الحكمة كما في المفردات بأصالة الحق بالعلم والعقل والموعظة كما عن الخليل بأنه التذكير بالخير فيما

يرق له القلب والجدال كما في المفردات بالمفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة ، والتأمل في هذه المعاني يعطى ان المراد بالحكمة والله أعلم الحجة التي تنتج الحق الذي لا مرية فيه ولا وهن ولا ابهام والموعظة هو البيان الذي تلين به النفس ويرق له القلب لما فيه من صلاح حال السامع من الغبر والعبر وجميل الثناء ومحمود الأثر ونحو ذلك ، هو الحجة التي تستعمل لفتل الخصم عما يصر عليه وينازع فيه من غير أن يريد به ظهور الحق بالمؤاخذة عليه من طريق ما يتسلمه هو والناس أو يتسلمه هو وحده في قوله أو حجته)[٢١].

(إن الوعظ هو الأسلوب المباشر الصريح في التربية. ومن السهل الاعتماد على هذا الأسلوب ؛ فما على المربي إلا أن يتوجه بالمواعظ والنصائح إلى من يريد ، ويطلب منه الامتثال لها ، والانصياع لأوامره ونواهيه.

وخير مثال على ذلك من كتاب الله ما جاء في موعظة لقمان الحكيم لابنه ، وهو ينهاه عن الشرك بالله ، ويبين له علمه الشامل لكل شيء ، ويأمره بالصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ويأمره بالصبر وينهاه عن الكبر)[٢٢].

وسيرة الانبياء والاوصياء والصالحين لم تخلوا من هذا الاسلوب وكانوا خير الناصحين والمرشدين فقد ورد في الاثر (قال رجل لامرأته: اذهبي إلى فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله فاسأليها عني أني من شيعتكم أم ليس من شيعتكم؟ فسألتها فقالت: قولي له: إن كنت تعمل بما أمرناك، وتنتهي عما زجرناك عنه، فأنت من شيعتنا وإلا فلا، فرجعت فأخبرته فقال: يا ويلي ومن ينفك من الذنوب والخطايا، فأنا إذا خالد في النار، فان من ليس من شيعتهم فهو خالد في النار)[٢٣].

❖ المطلب الثالث : القدوة الحسنة

وهو الأسلوب الذي ذكره القرآن الكريم وأكد عليه كثيراً لاسيما عند ذكر الانبياء والرسالة التي جاءوا بها، وذلك قوله تعالى ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾(الاحزاب:٢١).

(إنّ تقديم النموذج الصالح وعرضه أمام المربّين لهو أمر بالغ الأهمّيّة، وهو أسلوبٌ قرآنيّ في الحقيقة، حيث يقول الله عزّ وجلّ في كتابه العزيز: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ . كما يؤكّد التربويّون فاعليّة هذا الأسلوب حديثًا، ذلك لأنّ النفس البشريّة ميّالة إلى الاختيار تنفر من الإجبار، فالتعليم بتقديم النموذج أوقع في النفس من الوعظ والتلقين الدائم وخصوصاً لدى الأطفال. وفي هذا الإطار، نجد السيدة فاطمة عليها السلام تقدّم لأولادها بل لكلّ البشرية أنموذجًا كاملًا قابلًا للتأسّي، فهي بتجسيدها القيم والمفاهيم الدينيّة في حياتها تدّل المربّين بشكل عمليّ على ما ينبغي القيام به، وهو أمر عامّ وشامل ينطبق على حياتها بأكملها، وهو أسلوب نراه يتكرّر في مواقفها مع أولادها. فمثلًا نراها متهجّدة متعبّدة، تقوم ليلها حتّى تتورّم قدماها وهو أمر لا تحكيه عن نفسها أبدًا كما أنّها لا توقظ أولادها ليقوموا بالتعبّد مثلها على سبيل المثال)[٢٤].

(إن المجتمعات البشرية اليوم كأشد ما تكون حاجة إلى قدوة حسنة، تهديها سبيل الرشاد، وتأخذها إلى شاطئ الأمان، في ظل تلك النماذج ، ومع أن وجود القدوة الحسنة في المجتمع، يعطي الدليل العملي على إمكانية التطبيق فإنها تعطي صورة التطبيق العملي الصحيح، بحيث تصبح القدوة نموذجاً صحيحاً للتطبيق العملي للقيم والمبادئ والشرائع، وبهذا تصير أسلوباً من أساليب التعلم، وطريقة من طرق ايصال العلم)[٢٥] قال رسول الله (صلى الله عليه واله) مؤكداً ومقراً هذا (صلوا كما رأيتموني أصلي)[٢٦] .

(تجسدت في شخصية السيدة فاطمة مختلف أبعاد الأخلاق الإسلامية التي دعت وأكدت عليه التعاليم القرآنية، ولقد ضربت المثل الأعلى للمرأة المؤمنة الكاملة، وهذا ما نراه واضحا، وجليا من خلال استقراء سيرتها

وفي مختلف الأبعاد الإنسانية)[٢٧] .

فقد ورد (عن علي قال : كنا جلوسًا عند رسول الله فقال : أخبروني أي شئ خير للنساء ؟ فعيينا بذلك حتى تفرقنا ، فرجعت إلى فاطمة ، فأخبرتها الذي قال لنا رسول الله وليس أحد منا علمه ، ولا عرفه . قالت : ولكني أعرفه : خير للنساء أن لا يرين الرجال ولا يراهن الرجال فرجعت إلى رسول الله فقلت يا رسول الله ، سألتنا : أي شئ خير للنساء ؟ وخيرهن أن لا يرين الرجال ولا يراهن الرجال . قال : من أخبرك ، فلم تعلمه وأنت عندي ؟ قلت فاطمة فأعجب ذلك رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وقال إن فاطمة بضعة مني)[٢٨].

(كانت نموذجاً للأخلاق المرضيّ ، وأُسوة للإنسان الزكيّ ، بل هي أُسوة للإمام المهدي عليه السلام الذي هو أُسوتنا وحجّة الله علينا ، يقتدي بها الإمام فكيف بسائر الأنام)[٢٩] ، كما ورد في التوقيع الشريف (وفي ابنة رسول الله لي أُسوةٌ حسنة)[٣٠] .

ولو تطلعنا لسيرة السيدة فاطمة عليها السلام مع أولادها وسياق تعاملها معَهم، يمكننا أن نصل الى انها وضعت ثلاث اسس تتسمُ بها التربية الفاطميّة، وهي تشكّل المنهج الذي اعتمدته في تربيتها لأبنائها، حيث مضمون تربيتها قائمًا على القيم الحقّة المنبثقة من الدين وزرعها في نفوس اولادها وجبل كيانهم عليها، وذلك من خلال تجسيدها لتلك القيم بشكلٍ عمليّ، فاعتمدت أسلوب القدوة والأسوة وتقديم النموذج، بحيث يندر أن نعثر على موقف كان للزهراء عليها السلام فيه وعظٌ مباشر لأولادها، إلّا أنّ ذلك كلّه هو تحت رداء الحبّ والحنان، ولعلّ هذا ما يميّز المنهج الخاصّ بالأمهات ولذا كان دور المرأة بكونها أمًا لا بديل عنه، فعناصر تربيتها عليها السلام كانت مضموناً قيماً، بأسلوب تقديم النموذج العمليّ برداء الحبّ[٣١]

من خلال التركيز على معرفة الاخلاق وقيمتها في نظر القرآن يتضح لنا، إن الاخلاق الحسنة لا تشكل جانباً من جوانب الدين فقط، بل هي العمق والواقعية .

المبحث الثالث :الاثر الاجتماعي ودوره في التربية :

❖ المطلب الاول الاسرة :

تعد الاسرة المنطلق الاول لصلاح الفرد وتقويمه لما لها من الاثر الطيب في نفس الانسان فاذا نشأت الاسرة على طاعة الله والخوف منه اودعت هذه الطاعة والتربية الدينية في نفوس ابناءها .

قال تعالى : ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾(الاعراف: ٥٨) .

(الأسرة هي المؤسسة التربوية الأولى في حياة الإنسان ، فأول ما يفتح عينيه يجد نفسه في حضن أمه وأبيه بين إخوته وأخواته وفيها يحصل على الطعام الذي يؤدي إلى نمو جسمه ، ويتعلم اللغة التي تمكنه من التعلم بخطوات سريعة ، ويتلقى أصول العقيدة والأخلاق ، ويقوم بالعبادات المفروضة ، ويتحلى بالآداب الرفيعة ، ويكتسب العادات الحسنة ، وتنشأ بينه وبين أفراد أسرته علاقات تجعله سعيدا أو كئيبا. ومنفتحا علي الناس أو منزويا على نفسه وتحدد معالم شخصيته ، وترسم ملامح صورته)[٣٢] .

فأول مجتمع يتصل به الانسان في هذه الحياة ويستنشق عبير الخلق السائد في أجوائها ويتلقى أولى الدروس للإسلام ويتشبع بمبادئه ، وعلماء الأخلاق والتربية جعلوا للأسرة الاثر الكبير من حيث تكوين الشخصية وتوجيهها[٣٣] . وقد اهتم النبي (ص) كثيراً على مسألة صلاح الاسرة وأكد كثيراً على ذلك وأودع حب الاسرة والاهتمام بأفرادها في شخص ابنته سيدة نساء العالمين .

(وقد وفت فاطمة الزهراء دينها حينما احسنت تربية ورعاية ابناءها وبناتها فسجلّوا جميعاً من الامجاد العظيمة ما كان جديراً بذرية محمد (ص) وعترته وآل بيته)[٣٤] .

يقول الامام الحسن ("رأيتُ أمي فاطمة قائمةً في محرابها ليلة الجمعة، فلم تزل راكعة ساجدةً حتى انفلق عمودُ الصبح.. سمعتُها تدعو للمؤمنين والمؤمنات وتُسمّيهم وتُكثر الدعاءَ لهم، ولا تدعو لنفسها بشيء، فقلت: يا أمّاه، لَمْ تدعي لنفسِكِ كما تدعين لغيرِكِ؟ قالتْ: يا بُنيّ، الجار، قبل الدار)[٣٥]، فيتضح الخُلق الذي أنشأت عليه الزهراء ابناءها من خلال تعليمهم حب الخير للغير وايثارهم على انفسهم على الرغم من عمرها القصير لكنها مدرسة من الحب والعطاء والتربية والاخلاق فوهبت لأولادها الغذاء المعنوي قبل المادي وزرعت فيهم بذور الحب والتضحية .

❖ المطلب الثاني :المجتمع

على الرغم من تأكيد الاسلام على صلاح المجتمع واعادة هيكلته وفق النظام الاسلامي ، الا إن القرآن الكريم لم يذكر هذه المفردة (المجتمع) ، بالعبارة الصريحة لكنه عوّض عنها بلفظة القرية أو الأمة ، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾(الاعراف:٩٤) ، ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾(هود:١١٧)، ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾(ال عمران:١١٠). وغيرها الكثير من النصوص القرآنية التي لايسع المجال لذكرها.

(أثر المجتمع لا يقل عن اثر الأسرة بل قد يكون في بعض الأحيان له تأثير أعظم ، سيما مع ضعف دور الأسرة ، فالمجتمع هو الذي يتلقى الطفل ويحتضنه بعد أبويه وأسرته ، وينقل إليه عاداته ومفاهيمه وسلوكه ، وفي المجتمع يجتمع كل ما يحمله وينتجه الأفراد المعاصرون من أفكار وعادات وتقاليد وأخلاق وسلوكيات وتصرفات لذا فأن للبيئة الاجتماعية دوراً كبيراً في قولبة شخصية الطفل وسلوكه)[٣٦] .

فالمجتمع يؤدي بالانسان إلى الهلاك بكثرة مافيه من فساد وطبيعة الناس الضعيفة لاتستطيع أن تقاوم عوامل الشر والفتنة ومن الصعب على الكثير منهم الاعتدال في مجتمع اغلب الذي فيه فسق وفجور ومعاصي[٣٧]، (والسيدة الزهراء ربيبة الوحي التي ترعرعت في أحضان النبوة، تعرف مناهج التربية الإسلامية، ولا تغفل عنها وعن تأثيرها في الطفل، ابتداءً من تغذيته من لبنها وحنانها.. وحتى سلوكها وأفعالها وأقوالها)[٣٨]، (نعم، لم تكن الزهراء من تلك النساء القاصرات الجاهلات –والعياذ بالله– لتتصور البيت بمحيطه الصغير الضيق بجدرانه الأربعة، وإنما كانت تحسب محيطاً واسعاً شاسعاً مهماً باعتباره مصنعا لإنتاج الإنسان الرسالي، وجامعة لتعليم دروس الحياة وتلقي تمارين التضحية والفداء التى ستطبق غدا فى المجتمع الواسع خارج البيت ، وهكذا يجب أن تكون بيوتنا وأسرنا ومجتمعاتنا.. لقد غرست الزهراء في نفوس أولادها خصال الخير ومكارم الأخلاق ومعاني الفضيلة، وأرضعتهم مبادئ التوحيد والدفاع عن الحقّ فأصبحوا خيرة البشرية وقدوة الإنسانية.)[٣٩] .

المجتمع الذي يربيه القرآن له طراز متفرد من نوعه ، في الاحساس بقيمة الحرية التي يملكها ، التي تجعل كل فرد مسؤولاً عن كل حركاته وسكناته أمام الله ، الذي هو أقرب اليه من حبل الوريد [٤٠] .

النتائج :

١- منهج القرآن المتمثل بالعقيدة يبني الانسان بناءاً أخلاقياً ليخلص القلوب من دنس الحقد والكره وملأها بالحب والعطاء وحب الخير ، فالاخلاق التي نبعت من القرآن استطاع أن يغرسها في النفوس ، ليكون منبع لكل الفضائل .

٢- ان قضية التربية والتعليم تنطلق من مبدأ التوحيد وتنتهي به

٣- إن الفطرة الصحيحة تتفق مع توحيد الله وعدم الشرك ، لان التوحيد هو الغاية الاسمى للقرآن والتوحيد اساس الاستقامة التي تتوافق مع الفطرة .

٤- إن القرآن يقتضي استقامة سلوكه وفكره ومعتقداته ، لاسيما في ظل بيئة صالحة تحافظ على استقامة الفطرة وتوجيهها نحو طريق الصلاح .

٥- استخدم القرآن عدة اساليب لربية الانسان وتقويمه ومن هذه الاساليب الترغيب والترهيب وهما من اكثر الاساليب المؤثرة نفسياً في الأفراد .

٦- استطاع القرآن الكريم من خلال آياته وسوره أن يوصل بالإنسان الى تهذيب نفسه والارتقاء بأخلاقها والوصول الى كمالها .

٧- الاهتمام بالاسرة وتربيتها من اساسيات النبي التي اودعها في الزهراء واهتمت هي بدورها بتنشأت ابنائها تنشأة صالحة وزرعت فيهم حب الخير للجميع وغذتهم بغذاء الروح قبل الجسد فهي خير مثال للمربي الصالح والام الحنون .

٨- للمجتمع دور كبير في التأثير على الفرد وعلى سلوكه ، فالانسان الضعيف غير المتسلح بسلاح الايمان والتقوى ينحدر بسهولة الى قاع الفسق والفجور .

الهوامش

(١) اصول التربية الاسلامية واساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع ، عبد الرحمن النحلاوي ، ص٦٥ .

(٢) اثر العقيدة في حياة الفرد والمجتمع ، نعيم يوسف ، ص١٣

(٣) الأعرجي : نمير عبد العزيز ، رحلة في قبول الذات (العودة إلى الفطرة) ،٨-٩.

(٤) ظ : الميزان في تفسير القرآن : محمد حسين الطباطبائي ، ٩/ ٢٤١ .

(٥) ظ : دور التربية الإسلامية في الحفاظ على الفطرة السليمة وسبل تعزيزه من خلال المؤسسات التربوية ، أسماء عودة عطا الصوفي ، ص ٣٧ -٣٨ .

(٦) أصول الكافي (ج ٢ ص ١٣ باب الفطرة الحديث ٤ ط طهران

(٧) شذرات من حياة فاطمة ، شعبة التبليغ في قسم الشؤون الدينية ، العتبة العلوية المقدسة

(٨) م.ن

(٩) الموسوعة الكبرى عن فاطمة الزهراء ، اسماعيل الانصاري ، ١٠١/٢١ .

(١٠) ظ: منهج التربية في القرآن والسنة ، عمر احمد عمر، ص٧٥ .

(١١) الميزان في تفسير القرآن ، محمد حسين الطباطبائي ، ٧/ ١٩٠ .

(١٢) منهج التربية في القرآن والسنة ، عمر احمد عمر ، ص٧٦ .

(١٣) م.ن: ٧٩.

(١٤) ا ثر الإيمان والكفر على الفرد والمجتمع : عباس ذهبيات ، ٢٠.

(١٥) مصباح المتهجد ، الشيخ الطوسي : ص ٣٠٢ .

(١٦) تهذيب الاخلاق وتطهير الاعراق ص١٠

(١٧) منهج التربية في القرآن والسنة ، عمر احمد عمر ، ص ٢٤٥ .
(١٨) تفسير الميزان – السيد الطباطبائي ،١٢ / ٣٧١.
(١٩) منهج التربية في القرآن والسنّة : عمر أحمد عمر ، ص٢١٠ .
(٢٠) منهج التربية في القرآن والسنة ، عمر احمد عمر ، ص ٢٤٥
(٢١) تفسير الميزان – السيد الطباطبائي ،١٢ / ٣٧١.
(٢٢) منهج التربية في القرآن والسنّة : عمر أحمد عمر ، ص٢١٠
(٢٣) بحار الأنوار ، العلامة المجلسي ، ٦٥ / ١٥٥.
(٢٤) القدوة الحسنة في ضوء القرآن الكريم ، د. ناصر بن محمد بن عبدالله الماجد : ص٣٤ .
(٢٥) م.ن
(٢٦) صحيح البخاري: ١٦٢/١ .
(٢٧) فاطمة الزهراء عليها السلام انموذج المرأة المسلمة ،الامانة العامة للعتبة الكاظمية شعبة البحوث والدراسات ،٦ .
(٢٨) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ،أبي نعيم الأصفهاني: ٢ / ٤٠ .
(٢٩) اخلاق أهل البيت أشعة من أنوار السيد علي الحسيني الصدر، ص٢٣ .
(٣٠) بحار الأنوار – العلامة المجلسي – ٥٣ / ١٨٠ ، و ظ: الغيبة للشيخ الطوسي / ص ١٧٢ .
(٣١) فاطمة الزهراء ، محمد كامل حسن المحامي : ص٢١ .
(٣٢) منهج التربية في القرآن والسنّة : عمر أحمد عمر ، ص٢٧٦.
(٣٣) المصري : محمد أمين ، لمحات في وسائل التربية الإسلامية وغايتها، ٢١٥-٢١٦ .
(٣٤) فاطمة الزهراء ، محمد كامل حسن المحامي : ص٢١ .
(٣٥) بحار الانوار : العلامة المجلسي ٨٦/ ٣١٣ .
(٣٦) الاصلاح النفسي في القرآن ، نوران جبار ، ص٨٣ .
(٣٧) فاطمة الزهراء عليها السلام ، انموذج المرآة المسلمة : الامانة العامة للعتبة الكاظمية ، ص١٥
(٣٨) م.ن: ١٧.
(٣٩) م.ن.
(٤٠) منهج القرآن في تربية المجتمع : عبد الفتاح عاشور ص ٢٢٦ .

المصادر:

- **القرآن الكريم**

١- اثر الإيمان والكفر على الفرد والمجتمع : عباس ذهبيات ، دار المناهل ، بيروت – لبنان .
٢- اثر العقيدة في حياة الفرد والمجتمع ، نعيم يوسف ، تقديم الاستاذ فؤاد الهجرسي ، دار المنارة للترجمة والنشر ، المنصورة ، مصر ، الطبعة الاولى (١٤٢١هـ- ٢٠٠١م) .
٣- اخلاق أهل البيت السيد محمد مهدي الصدر ، مؤسسة الكتاب الاسلامي ، الطبعة الاولى ، ٢٠٠٨ .
٤- الاصلاح النفسي في القرآن ، نوران جبار ، رسالة ماجستير جامعة الكوفة ، كلية الفقه ، اشراف الدكنور هادي عبد علي هويدي ، ٢٠٠٩ م

٥- اصول التربية الاسلامية واساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع ، عبد الرحمن النحلاوي ، دار الفكر الطبعة: الخامسة والعشرون ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م .
٦- أصول الكافي ، محمد بن يعقوب الكليني ، المكتبة الإسلامية ، طهران
٧- بحار الأنوار – محمد باقر بن محمد تقي المجلسي ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، الطبعة: الاولى ٢٠٠٨م.
٨- تهذيب الاخلاق وتطهير الاعراق : أبو علي احمد بن محمد ابن مسكويه : (ت ٤٢١ هـ)، الطبعة الأولى، مطبعة سليمان زاده ، ١٤٢٦هـ .
٩- جامع احاديث الشيعة ، السيد حسن الطباطبائي البروجردي ، قم .
١٠- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ،أبي نعيم الأصفهاني، دار الفكر ، مصر ، ١٩٩٦م .
١١- دور التربية الإسلامية في الحفاظ على الفطرة السليمة وسبل تعزيزه من خلال المؤسسات التربوية، أسماء عودة عطا الصوفي ، رسالة ماجستير الجامعة الاسلامية في غزه ، اشراف الدكتور حمدان عبدالله الصوفي ، ٢٠١١ م .
١٢- رحلة في قبول الذات (العودة إلى الفطرة) : نمير عبد العزيز الأعرجي ، ،دار الهادي للطباعة ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م .
١٣- صحيح البخاري : ابي عبدالله محمد بن اسماعيل البخاري المتوفى سنة ٢٥٦ هـ ، دار ابن كثير ، لبنان _ بيروت ، ٢٠١٨.
١٤- السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام قدوة وأسوة ، مركز المعارف للتأليف والتحقيق، الطبعة الأولى دار المعارف الإسلامية الثقافية ، ٢٠١٨م- ١٤٣٨هـ .
١٥- الغيبة محمد بن ابراهيم النعماني وهو من كتب الشيخ الطوسي ، طهران ، مكتبة الصدوق .
١٦- فاطمة الزهراء (ع) ، محمد كامل حسن المحامي ،المكتب العالمي ، بيروت ، ١٩٨٥ .
١٧- فاطمة الزهراء عليها السلام انموذج المرأة المسلمة ،الامانة العامة للعتبة الكاظمية ، شعبة البحوث والدراسات.
١٨- فاطمة الزهراء من المهد الى اللحد ، السيد محمد كاظم القزويني ،دار الكتاب العربي ، بيروت . لبنان ، الطبعة الاولى ، ٢٠٠٤ .
١٩- القدوة الحسنة في ضوء القرآن الكريم ، ناصر بن محمد بن عبدالله الماجد ، ، العدد (٨)، ١٤٣٢ هـ .
٢٠- لمحات في وسائل التربية الإسلامية وغايتها : المصري : محمد أمين ، ، الطبعة الرابعة ، ١٣٩٨هـ ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان .
٢١- مصباح المتهجد ، الشيخ الطوسي ، مؤسسة فقه الشيعة ، بيروت .
٢٢- منهج التربية في القرآن والسنة ، عمر احمد عمر ، راجعه وقدم له الدكتور وهبة الزحيلي ، دار المعرفة
٢٣- منهج القرآن في تربية المجتمع ، عبد الفتاح عاشور ، الطبعة الأولى ، مكتبة الخانجي ، مصر
٢٤- الميزان في تفسير القرآن ، محمد حسين الطباطبائي ، مؤسسة الأعلمي ، بيروت ، ١٤١٧هـ .